



# مالم

مجلة الدراسات اللغوية

العدد الحادي عشر

صفر ١٤٣٦هـ / ديسمبر ٢٠١٤م

يصدرها:

قسم اللغة العربية

جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا

# عالم

## مجلة الدراسات اللغوية



يصدرها:

قسم اللغة العربية

جامعة عثمان بن فوذي صكتو - نيجيريا

صفر، ١٤٣٦هـ / ديسمبر، ٢٠١٤م

العدد الحادي عشر



والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
All Rights reserved. No part or whole of this journal is allowed to be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission of the Copyright owner.

### مالم: مجلة الدراسات اللغوية

©قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا



العدد الحادي عشر، صفر ١٤٣٦هـ/ ديسمبر ٢٠١٤م

ISSN: 1118-3365

ISSN 1118-3365



9 771118 336008

#### عنوان المراسلات

PMB 2346 :

malamjournal@gmail.com :

+2348036007584/08066336852 :

صندوق البريد

البريد الإلكتروني

الهاتف

Printed and Published by:

Department of Arabic,  
Usman Danfodiyo University,  
SOKOTO STATE - NIGERIA

## شروط النشر في المجلة

- (١) يشترط في الأبحاث والدراسات المقدمة للنشر في مجلة مآل أن تكون مبتكرة ولم يسبق نشرها في أية وسيلة نشر أخرى.
- (٢) أن ترسل المادة العلمية المخصصة للنشر مطبوعة بواسطة الحاسوب بمحرر (وورد Word).
- (٣) ألا يتجاوز حجم البحث المرسل للمجلة (٢٠) صفحة، ولا يقل عن (١٠) صفحة، وتكون الكتابة على وجه واحد مع كتابة الإحالات والمراجع في آخر الصفحة.
- (٤) أن يلتزم الباحث التدقيق في كتابة النص إذ لا تتحمل المجلة الأخطاء اللغوية والإملائية الواردة في البحوث.
- (٥) تُعرض البحوث على محكمين متخصصين لبيان مدى صلاحيتها للنشر، وتبقى عملية التحكيم سرية.
- (٦) لا ترجع البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- (٧) البحوث والدراسات المنشورة في المجلة تعبر فقط عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة إلى رأي المجلة.

## هيئة التحرير

- الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاك      رئيس التحرير
- الأستاذ الدكتور كمال بابكر      المحرر
- الأستاذ الدكتور سمبو ولي جنيد      عضو
- الدكتور أبوبكر عبد الملك      عضو
- الأستاذ الدكتور محمد حبيب محمد      عضو
- الأستاذ الدكتور صالح بلا أليجار      عضو
- الأستاذ الدكتور أبوبكر أبوبكر ياغول      عضو
- الدكتور عبد القادر ثاني      عضو
- الدكتور ناصر أحمد صكتو      عضو
- الأستاذ الدكتور ثاني عمر موسى      عضو وسكرتير التحرير

## المستشارون:

- الأستاذ الدكتور س.أ. الملك  
(قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة إبادن)
- الأستاذ الدكتور عبد الرزاق أ. ديرمي  
(قسم اللغات، جامعة إلورن)
- الدكتور عتيق بلاربي غسو  
(المحتسب، ولاية زَمْفَر)
- الأستاذ الدكتور سركي إبراهيم  
(قسم اللغة العربية جامعة بايزو، كَانُو)

## دراسة أدبية تحليلية لميمية الوزير عبد القادر بن غداد في الشكر لله تعالى على هروب أمير غوبر مياق من كتر كرش

إعداد:

**د. يحيى إمام سليمان**

قسم اللغة العربية، جامعة بايروكنو

[Suleimany4156@buk.edu.ng](mailto:Suleimany4156@buk.edu.ng)

مقدمة:

تهدف هذه لمقالة إلى تناول قصيدة ميمية للوزير عبد القادر بن غداد بدراسة وتحليل أدبي مختصر، بغية إظهار مواطن الجمال فيها والوقوف على قيمتها الفنية والتاريخية مع إظهار مدى تمكن الشاعر في التعبير عن خلجات نفسه بطريقة فنية شعرية، ومساعدة القارئ في فهم مضامين القصيدة وتذوق جمال أساليبها. والقصيدة بالإضافة إلى كونها عملاً أدبياً، تحمل بُعداً تاريخياً حيث تصوّر لنا أحداثاً تاريخية ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، أيام حكم عليّ بيا بن محمد بل بن عثمان بن فودي (ت ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م) في خلافة دولة صكتو.

ترجمة صاحب النص:

هو عبد القادر بن عثمان (غداد) بن أبي بكر (سمبوليم) بن عمر (غابند) بن أحمد، وهو فُلانِي الأصل من قبيلة ثورب القاطنين في أعالي جمهورية نيجر. وأمه هي السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي. ولد بمدينة صكتو سنة ألف وثمانمائة وتسع ميلادية ١٨٠٩م<sup>(١)</sup>.

نشأ في بيت عزّ وعلم وأدب، حيث كان والده عالماً وفقياً كبيراً ومتصوفاً من المشهورين في فترة الجهاد الفودوي، ووزيراً لثلاثة من الأمراء في خلافة صكتو

وهم الأمير محمد بلّ بن عثمان بن فودي وأخوه أبوبكر عتيق ثم ابنه عليّ بَنّا. ويضاف إلى ذلك كون والدته أسماء<sup>(٢)</sup> عالمة حافظة للقرآن الكريم، لها مؤلفات وأشعار باللغة العربية.

مارس عبد القادر الجهاد منذ صغره، وعيّن وزيراً للدولة خلفاً لوالده في خلافة الأمير عليّ بَنّا، حاملاً مسؤولية الإمارات الشرقية وهي: كَنُو وزَارِيَا وَحَطِيجِيَا وَكَتَاغُم وَمَسُو وَأَدَمَاوَا وَغُمِي بالإضافة إلى مدينة صَكُّتُو.

توفي الوزير عبد القادر في أول ديسمبر سنة ١٨٥٩م، وهو ابن خمسين سنة من عمره، ودُفن بقرية تسمّى وُزْنُو شرق صَكُّتُو.

#### مناسبة القصيدة:

يرجع تاريخ هذه القصيدة إلى فترة ما بين ١٨٥٣م إلى ١٨٥٩م في خلافة أمير صَكُّتُو عليّ بن محمد بلّو بن عثمان بن فودي، حينما خرجت عن طاعة خلافة صَكُّتُو بلاد كثيرة ومناطق بين زَمَفَر وَكُتْرُكُش وارتدّت عن الإسلام بتحريضٍ ودعمٍ من أمير غُوبَر مَيَاق<sup>(٣)</sup>؛ وكان الأمير عليّ قد أخذ على نفسه وعداً بملاحقة مَيَاق ومُبارزته إذا دخل بلداً من بلاد المسلمين، أينما كان البلد، قريباً كان أو بعيداً، حتّى أخبر الناس بذلك.

فلما سمع الأمير أن الطاغية مَيَاق دخل مدينة كُتْرُكُش، جهّز جيشاً كبيراً لملاقاته، وتولّى قيادة الجيش بنفسه، وكان ذلك "في وقتٍ شديد الحرّ، كثير العطش، في يَدٍ<sup>(٤)</sup> مُبِيدٍ<sup>(٥)</sup>، وعِر السُّلُوكِ في ذَلِكَ الوقتِ، إِلَّا لِهَيْمَةِ المُلُوكِ، إذ لا ماءً إِلَّا العَنَاءُ<sup>(٦)</sup>، وَإِلَّا مَا أَمْسَكُهُ الشَّخْصُ مِمَّا هُوَ يُفْنِيهِ لِبُعْدِ مَسَافَتِهِ المَضِرَّ"<sup>(٧)</sup>، فأخذ بعض الناس يتذمّرون مستنكرين تصرّف الأمير في اختيار وقتٍ غير

مناسبٍ للخروج فيه (على رأيهم)، قائلين: "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْبَصِيرِ، مَعَ عَلْمِنَا بِطَبِيعَةِ هَذَا الْأَمِيرِ فِي شِدَّةِ هَذِهِ الْحَرَارَةِ، تَكَاذُ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْمَرَاةِ؟" <sup>(٨)</sup>. ولكنَّ الأمير لم يأبه بأقوالهم، وإنما أصرَّ على الخروج وفاءً بوعده. فسلكَ بالناس طريقَ غُنْدُم <sup>(٩)</sup>، وهو طريق صحراويٍّ وعزَّ صعب السلوك بعيد المسافة، وذلك إخلاف لما كان يظنه الناس أن يسلك بهم طريقاً أسهل من ذلك (وهو طريق بُزْم <sup>(١٠)</sup>)، واتباعٌ لاستراتيجية حربية مخالفة لتوقعات العدو.

فما زال الأمير سائراً بالجيش إلى أن نزل بموضعٍ كان ينوي لقاء الطاغية فيه. وتقدَّم الخبر إلى مَيَّاق وهو في كُتْرُكُش مع أعوانه ومن في طاعته من الكفرة الفجرة المجتمعين من نواحي مختلفة من بلاد غُورٍ وزَمَقَرَا. فانكسر قلب مَيَّاق، فألقى الله الخوف والرعب فيه، فتسلَّل هارباً دون أن يشعر به أحدٌ من أتباعه.

فلما حان وقت المزاخرة والمقاتلة، أدرك الناس أن الطاغية مَيَّاق غَرَّهْمُ وفَرَّ، فارتبكوا وامتثلوا خوفاً ورُعْباً، فأخذوا يولُّون الدُّبُرَ، طالبين الفرار والنجاة. فأمدَّ الله المسلمين بالنصر، فأنعم عليهم بفتح كُتْرُكُش واستسلمت بقية البلدان. وعندما همَّ الأمير بالرجوع إلى صَكُّتو سلك بالناس طريق بُزْم، وهو الطريق الأسهل من الأول. وفي طريق العودة واجه جيشه كفار مَقَرَّ <sup>(١١)</sup> وبُكُورَا وانتصروا عليهم بفضل الله سبحانه وتعالى، حتى رجع الأمير سالماً غانماً بَعْزَةَ الإسلام.

والوزير عبد القادر بن غداد كان مصاحباً للأمير في تلك الحروب مشاركاً فعلاً فيها وشاهداً لأحداثها متأثراً بها. فنظم هذه القصيدة إثر هذا النصر العظيم. وإلى ذلك أشار قائلًا: <sup>(١٢)</sup> "فَفِي ذَلِكَ الْفُلُجِ" <sup>(١٣)</sup> بِفِرَارِ جَامِعِ الْعُلُجِ <sup>(١٤)</sup>، أَنْشَدْتُ قَصِيدَةً مِيميَّةً، شُكْرًا لَا فَخْرًا، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ <sup>(١٥)</sup>.



## نص القصيدة:

- ١- شَكَرْنَا لِبَارِئِنَا وَمَالِكِ شَانِنَا
  - ٢- شَكَرْنَاكَ يَا رَبِّي أَيَا خَيْرِ شَاكِرٍ
  - ٣- أَقَامَ يَعْتُرُ الْجَاهِلِينَ لِحَقِّهِمْ
  - ٤- يُقَلِّبُ فِي اسْتِقْرَارِهِ مِنْ سَفَاهَةٍ
  - ٥- مَيَاقٍ هَبَا أَنْ لَا تُنَاقِيَهُ لِلْوَعَى
  - ٦- فَلَمَّا بَدَا أَنَّ نَوَيْنَا لِقَاءَهُ
  - ٧- كُتِرَ كُشٍ نَادَتْهُ وَصَمَّ عَنِ النَّدَا
  - ٨- فَقَالَ لَهُمْ فِي الْحَالِ لَا وَدَّ بَيْنَنَا
  - ٩- سَمِعْنَا عَلِيًّا جَاءَ بِالْجَيْشِ إِنَّنَا
  - ١٠- فَلَمَّا أَحْسَسُوا اقْتِرَابَ إِمَامِنَا
  - ١١- فَمَا ائْتَمَرُوا فِي شَأْنِ أَهْلِ كُتِرَ كُشٍ
  - ١٢- فَخَلُّوا لَهَا أَضْيَافَهَا مِنْ جُمُوعِنَا
  - ١٣- وَكَانُوا قَدِيمًا يَشْخُذُونَ سُيُوفَهُمْ
  - ١٤- فَمَا صَبَرُوا لَمَّا أَيْقَنُوا بِقُدُومِنَا
  - ١٥- كُتِرَ كُشٍ شَدَّ حَزَامُهَا مِنْ غَوَايَةِ
  - ١٦- فَرَزَيْنَ شَيْطَانُ هُمْ أَنْ يُزَاحِفُوا
  - ١٧- عَلَى زَعْمِهِمْ لَا تُشْرَبُ الْمَاءُ حَوْثُهُمْ
  - ١٨- طَرَدْنَاهُمْ عَنْهَا شَرِينَا بِعَلْبَةٍ
  - ١٩- فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ سِوَى لَيْتَ قَوْمُنَا
  - ٢٠- فَجَا [س] <sup>(١٦)</sup> خِلَالَ جِبَالِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ
- وَنَاصِرِنَا الْوَالِي الْمَعَزِّزِ ذِي الْكُرْمِ  
لِإِفْضَاحِ قَالٍ بَاغِضِ الدِّينِ وَالسَّلَمِ  
وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَزْتَعُوا مَوْضِعَ الْوَحْمِ  
مِنْ اسْتِدْرَاجٍ مِثْلَ مَا كَانَ لِلْإِزْمِ  
وَأَعْوَانُهُ مِنْ دَانَ مَفِيدِ أُولَى الْإِثْمِ  
تَقْهَقِرُ مُحْتَالًا فَقَرَّ عَنِ الْقَوْمِ  
فَأُضْحَى جِبَالُ الْوُدِّ مِنْهُمْ عَلَى الصَّرْمِ  
فَقُولُوا بِمَا شِئْتُمْ عَلَيْنَا مِنَ الشَّتْمِ  
تُحَازِرُهُ أَنْ لَا تُنَاقِي بِمُلْتَقَمِ  
وَقُرْسَانِهِ الْآسَادِ يُؤَلِي الْعِدَى النَّقْمَا  
سِوَى الْعَدْرِ عَذْرُوهُمْ وَفُتُّوا بِلَا حُرْمِ  
فَكَانُوا خِيَارَى وَالْهَيْنَ مَعَ الْهُيْمِ  
وَأَزْمَاحُهُمْ وَالنَّبْلَ زَعْمًا عَلَى زَعْمِ  
يَخَافُونَ مِنْ فِتْيَانِنَا تَخْلُقُ اللَّمَمَا  
لِطَمْعِ مَيَاقٍ وَدَانَ مَفِيدِ عَلَى الْوَهْمِ  
بِآسَادِنَا الصَّرْعَامِ كَالنَّارِ فِي الضَّرْمِ  
وَكَدَّبَهُمْ ذُو الْمَاءِ رَحْمَانِنَا الرَّحِمِ  
وَقَهَرٍ عَلَى مَا كَانَ أَيْسَرَ مِنْ عِزْمِ  
فَخَابُوا وَخَسِرُوا ثُمَّ صَارُوا إِلَى النَّدَمِ  
فَوَارِسُنَا وَرَجَالَهُ حَازَتْ الْعُنَمَا

- ٢١- فَشَاعَ وَذَاعَ الْخَبْرُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا  
 ٢٢- فَمَاتُوا بِغَيْظِهِمْ قَتَلْنَا حَيَارَهُمْ  
 ٢٣- وَأَعْنِي بَقَايَاهُمْ غَرِلَوْ لِفَسْكَرِي  
 ٢٤- هَنِيئًا لَنَا يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ جُنْدُنَا  
 ٢٥- فَحَتَمَ عَلَيْنَا شُكْرًا وَهَبَ ذَا الْعُلَا  
 ٢٦- لِأَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ أَجَزَ وَعَدَهُ  
 ٢٧- مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ رَبِّي وَسَلَّم  
 ٢٨- عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ  
 ٢٩- كَذَا الْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ فِي  
 فَزَادَ لَهُمْ بِالْفُورِ غَمًّا عَلَى غَمٍّ  
 وَمَدَّتْ بَقَايَاهُمْ يَدًا مَلْقَى السَّلَامِ  
 وَسَمَرٍ وَمَغْزُو وَالْبَوَادِي إِلَى زَعَمٍ  
 هُوَ الْغَالِبُ الْمَنْصُورُ فِي كُلِّ مُلْتَمَعٍ  
 بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ لَا تُبَالِي بِذِي الْخِصَمِ  
 لِمَبْعُوثِهِ الْمَنْصُورِ فَادْكُرْهُ بِالْفَحَمِ  
 عَلَيْهِ لِمَا قَدْ قِيلَ فِي النُّونِ وَالْقَلَمِ  
 بِلَا عَدَدِ الْعَادِّينَ بِالْكَفِّ وَالْقَمِ  
 هُدَاهُمْ لِيَوْمٍ كَانَ يُوصَفُ بِالْعُقَمِ

### شرح المفردات:

- ١- شكر : من الشُّكر وهو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف،  
 يُقال شكره وشكر له وهذا الأخير أفصح. المعرَّز: الذي  
 يهب العزَّ لمن يشاء من عبادته، والعزُّ خلاف الذلِّ فلا  
 يغلبهم أحدٌ.
- ٢- القالي : الشخص الذي يحمل البغض والأكاذيب.
- ٣- أن يرتعوا : يقال أرتع الرَّاعي إبله أي جعلها ترعى كيف شاءت في  
 خَصْبٍ وَسَعَةٍ، فمعنى "أن يرتعوا" أن يتنعموا ويلهوا.  
 الوَحْم: تعفن الهواء المورث للأمراض البوائية، والوَحْمُ  
 أيضا بمعنى الضرر، فموضع الوخم أي موضع الوباء.

- ٤- استدرج : مصدر استدرج، يقال استدرج الله العبد استدرجاً إذا أخذه قليلاً قليلاً ولم يعجل عذابه، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٧)</sup>. إرم: هم عاد الأولى المذكورون في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد...﴾<sup>(١٨)</sup>.
- ٥- مَيَّاق : هو سلطان غُوبِرَ Gobir مَيَّاق بن يعقوب، تولى السلطة عقب واقعة غَوَاكِييَ Gawakuke التي أسفرت عن مقتل سلطان غُوبِرَ عليّ سنة ١٨٣٦م<sup>(١٩)</sup>. دَانَ مَفِيدٍ: اسم لعامل من عمال مَيَّاق.
- ٦- تقهقر : أي تراجع إلى الوراء مهزوماً من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه. محتالاً: منصوب على الحال، أي حال كونه مدبراً حيلةً.
- ٧- كُتْرُكُش : بلدة تقع الآن في حكومة غُسُو Gusau المحلية، في ولاية زَمْفَرَا Zamfara، وتبعد عن سُكُونُو بحوالي مائتين (٢٠٠) كيلو متر.
- ٩- عليّ : هو الأمير علي بن بَبَا ابن محمد بلُو. مُلْتَقِم: بكسر القاف، فاعل من اِلْتَقَمَ يلتقم النقاماً، يقال: اِلْتَقَمَ الطعام إذا أكله بسرعة بمعنى ابتلعهُ، واللُّقْمَةُ اسم لما يُتْلَع من الطعام.
- ١٢- أضيافها : جوانبها ونواحيها. والهين: أي حال كونهم والهين، والوالهة هو من اشتدَّ حُزْنُهُ حتَّى كادَ يذهب عقله. الهيم: جمع هائم وهو اسم فاعل من هَام، يُقال: هَام فلان على

وجهه، إذا انطلق متحيراً، ضائعاً تائهاً لا يعرفُ إلى أين يتوجّه.

١٤- اللَّمَم : جمع اللَّمَّة بالكسر، وهو الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن<sup>(٢٠)</sup>.

١٦- الصَّرْعَام : الأسد وهو الصَّاري الشَّدِيد المقدام من الأسود، ويجمع على ضراغم وضراغمة. الضَّرْم: مَصْدَرُ ضَرِمَ ضَرَمًا وضَرِمَتِ النارُ وتَضَرَّمتْ واضْطَرَّمتْ اشتَعَلَتْ والتَّهَبَتْ، والضَّرْمُ من الخطب ما التهبَّ سريعاً والواحدة ضَرْمَةٌ<sup>(٢١)</sup>.

٢٣- غَرْلُو : اسم بلدة. فَسْكَرِي Faskari: بلدة، وهي الآن حكومة محلية تابعة لولاية كِنْتَه بشمال نيجيريا . سَمْرِ Samri: بلدة تقع على حدود زَمْفَر مع ولاية كِنْتَه، بين نهرِي سَكْتُو وزَمْفَر. مَعْزُو وَالْبَوَادِي وَزَعَم: كلها أسماء الأماكن والبلدان.

### شرح القصيدة:

استفتح عبد القادر قصيدته بمقدمة رائعة تعكس لنا مضمون القصيدة وتناسب مقصوده من نظمها قائلاً:

شكرنا لخالقنا ومالك شأننا المتصرف فيه كيف يشاء، وناصرنا على أعدائنا، المتَّوَلِّي لأُمُورِ العالم والخالق أجمعين، واهب القوَّة والغلبة لمن يشاء من عباده، صاحب الخير والجلود والعطاء بدون انقطاع وانتهاء.

شكرناك يا ربّي، أيا خير من يبدل الثواب والجزاء، شكرناك لكشف أكاذيب ومساوي إنسانٍ ناقل الأكاذيب مكرهٍ للدين والسلام، الذي أقام يخدع الجاهلين مستغلاً حماقتهم ويأمرهم أن يرتكبوا محارم الله التي تلحق بمرتكيها أذى وأضراراً وهي بمنزلة أماكن الوباء. وكان يتمتّع في استقراره ويتصرف في الأمور كيف يشاء بجهله ورداءة خلقه، وذلك استدراج له من الله سبحانه وتعالى كما استدرج إرم من قبل حين أمهلهم ولم يعجل بعداهم.

- ١- شَكَرْنَا لِبَارِئِنَا وَمَالِكِ شَأْنَنَا وَنَاصِرِنَا الْوَالِي الْمَعَزِّزِ ذِي الْكَرَمِ
  - ٢- شَكَرْنَاكَ يَا رَبِّي أَيَا خَيْرِ شَاكِرٍ لِإِفْضَاحِ قَالٍ بَاغِضِ الدِّينِ وَالسَّلَامِ
  - ٣- أَقَامَ يُعْرِ الْجَاهِلِينَ لِمَقْعِهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَزْتَعُوا مَوْضِعَ الْوَحْمِ
  - ٤- يُقَلِّبُ فِي اسْتِقْرَارِهِ مِنْ سَفَاهَةٍ مِنْ اسْتِدْرَاجٍ مِثْلَ مَا كَانَ لِإِلَازِمٍ
- وبعد هذا الاستهلال انتقل يشرح الحدث المفرج وهو هروب مَيَاقٍ متسللاً وتخليه عن كُتْرُكُشٍ خوفاً ورهباً، ويبين مزاعم كلٍّ من مَيَاقٍ وأهل كُتْرُكُشٍ وما آل إليه أمرهم بعد ذلك، قائلاً:

مَيَاقٍ فَرَّ مِنَ الْمِيدَانِ حَتَّى لَا نَلَاقِيهِ فِي الْحَرْبِ، وَكَذَلِكَ فَرَّ أَعْوَانُهُ الْمَشْهُورُونَ بَارْتِكَابِ الذُّنُوبِ الَّتِي يَسْتَحِقُّونَ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا مِنَ الْمِيدَانِ، مِثْلَ دَانَ مَفِيدٍ. فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّا عَزَمْنَا قِتَالَهُ تَرَاوَعَ إِلَى الْوَرَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعِيدَ وَجْهَهُ إِلَى جِهَةِ مَشْيِهِ، مَدْبِرًا حِيلَةً لِيَنْسَحِبَ مِنَ الْمِيدَانِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَدٌ، فَفَرَّ عَنْ جَمَاعَتِهِ بِهَدْوٍ.

فَأَهْلُ كُتْرُكُشٍ مَعَ مَكَانَتِهِمْ عِنْدَهُ وَمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مِنْ وَدٍّ، نَادَوْهُ مُسْتَنْجِدِينَ بِهِ طَالِبِينَ مِنْهُ حِمَايَتِهِمْ وَلَكِنَّهُ صَمٌّ عَنْ نَدَائِهِمْ مَنْشَغَلًا بِنَفْسِهِ؛ فَأَصْبَحَتْ حِبَالُ الْوَدِّ مَقْطُوعَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ. فَقَالَ مُجَاوِبًا لَهُمْ: فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا وَدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أَذْهَبُوا وَقُولُوا مَا شِئْتُمْ عَلَيَّ مِنَ الشَّتَائِمِ لَعْدَمِ إِصْغَائِي إِلَيْكُمْ وَمُسَاعَدَتِي إِيَّاكُمْ.

- ٥- مَيَّاقِ هَبَا أَنْ لَا تُنَاقِيَهُ لِلْوَعَى وَأَعْوَانُهُ مِنْ دَانٍ مَفِيدٍ أُولِي الْإِثْمِ  
 ٦- فَلَمَّا بَدَا أَنَّا نَوْنِيْنَا لِقَاءَهُ تَقَهَّقَرِ مُحْتَالًا فَفَرَّ عَنِ الْقَوْمِ  
 ٧- كُتِرْكَشِ نَادَتْهُ وَصَمَّ عَنِ النَّدَا فَأَضْحَى جِبَالُ الْوُدِّ مِنْهُمْ عَلَى الصَّرْمِ  
 ٨- فَقَالَ لَهُمْ فِي الْحَالِ لَا وُدَّ بَيْنَنَا فَقُولُوا بِمَا شِئْتُمْ عَلَيْنَا مِنَ الشَّتْمِ

ثم استمرّ قائلاً: وكانوا من طغاوتهم قبل ذلك، يقولون: سمعنا عليًا جاء بالجيش لقتالنا وإننا نحدّره ألا نلاقيه بمكانٍ يُهلك فيه الرجال كما ثلّتهم لقمة الطعام. فلما أحسّوا باقتراب إمامنا منهم مُصَاحِبًا فرسانه الأقوياء المشهورين بالشجاعة مثل الأسود، المعاقبين للأعداء قتلا وأسرا؛ اجتمعوا بسرعة ليتشاوروا بينهم في شأن أهل كُتِرْكَشٍ ويبحثوا عن مخرج لهم. ولكن اجتماعهم وتشاورهم ما كان سوى الغدر حيث خانوهم ونقضوا العهد وفُتروا دون أي اعتبار لحرماتهم. فخلّوا لِكُتِرْكَشِ جوانبها ونواحيها خوفاً من جيوشنا المجتمة، وكانوا والهين مع الهيم، حيرانين من أمرهم لا يعرفون وجه اهتدائهم إلى سبيل النجاة:

- ٩- سَمِعْنَا عَلِيًّا جَاءَ بِالْجَيْشِ إِنَّنَا نُحَازِرُهُ أَنْ لَا تُنَاقِي بِلَمْتَقَمِ  
 ١٠- فَلَمَّا أَحَسَّوْا اقْتِرَابَ إِمَامِنَا وَفُرْسَانِهِ الْآسَادِ يُؤْلِي الْعِدَى النَّقَمَا  
 ١١- فَمَا ائْتَمَرُوا فِي شَأْنِ أَهْلِ كُتِرْكَشِ سِوَى الْعَدْرِ غَدَرُوهُمْ وَفُتَرُوا بِلَا حُرْمِ  
 ١٢- فَخَلَّوْا لَهَا أَضْيَافَهَا مِنْ جُمُوعِنَا فَكَانُوا حَيَارَى وَالْهَيْنَ مَعَ الْهِيمِ

ثم انتقل يشرح كيف كانوا يستعدّون لمواجهة جيش المسلمين ويتوعدون ملاقاتهم مبيناً ما انقلب إليه أمرهم من الخيبة والخسران والندم، قائلاً:

وكانوا قبل ذلك يحدّثون سيوفهم وأرماحهم وسهامهم زعمًا على زعم. فلما تحقّقوا من قدومنا عليهم وعلموا أن لا محالة إنّنا قادمون، ما استطاعوا الصبر

على مواجهتنا وإنما فرّوا خائفين من شبابنا الذين يخلقون لِمَمِّهم ليكون علامة لهم حتى يكونوا متميّزين عن غيرهم.

أما كُتْرُكُش فقد استعدّوا لحمايتها وحصّنها بحراسة مشدّدة من أجل الضلال والتمادي في الهوى، لطمع مَيّاقٍ ودانٍ مَفِيدٍ على شيء وهمي وهو مواجهتنا في القتال والانتصار علينا. فزَيَّنَ لهم شيطانٌ من بينهم وسوّلت لهم أنفسهم أن يزاحفوا بشبابنا الأبطال الأقوياء مثل الأسود سرّيعي القضاء على أعدائهم.

١٣- وَكَانُوا قَدِيمًا يَشْخُذُونَ سُيُوفَهُمْ وَأَرْمَاحَهُمْ وَالنَّبَلَ زَعْمًا عَلَى زَعَمٍ

١٤- فَمَا صَبَرُوا لَمَّا أُيْقِنُوا بِقُدُومِنَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْيَانِنَا تَحْلُقُ اللَّمَمَا

١٥- كُتْرُكُشٍ شَدَّ حَزَامُهَا مِنْ غَوَايَةٍ لَطَمَعَ مَيّاقٍ وَدانٍ مَفِيدٍ عَلَى الوَهْمِ

١٦- فَزَيَّنَ شَيْطَانٌ لَهُمْ أَنْ يُزَاحِفُوا بِأَسَادِنَا الضَّرْعَامِ كَالنَّارِ فِي الضَّرْمِئِ

واستمرّ قائلًا: وكانوا - حسب زعمهم - يقولون: لا نشرب الماء من الآبار الموجودة حولهم فيهلكنا العطش الشديد، ولكن المالك الحقيقي للماء كذبهم، وهو ربنا الذي وسعت رحمته كل شيء، فهو كثير العطف على خلقه بالرزق. فطردها عن أماكن المياه وارتوينا بقوة رغم أنفهم دون أي مواجهة تُذكر.

فلم يكن منهم - يومئذ - دعاءٌ أو ادّعاء سوى الاعتراف بهزيمتهم قائلين: لَيْتَ قَوْمَنَا لم يستمعوا إلى مَيّاقٍ وأعوّانِهِ ولم يَجْرُونَا إلى ما نحن فيه من الهزيمة والخذلان؛ فخاب رجائهم ولم يَحَقِّقُوا أمانيتهم وخسروا ثم صاروا يظهرون الندامة على ما فعلوه.

فأخذ أبطالنا المحاربون على ظهور الخيل والماشون على أقدامهم يتردّدون خلال جبالهم الواقعة في ديارهم، وقد حازوا كثيرا من الغنائم.

١٧- عَلَى زَعْمِهِمْ لَا نَشْرَبُ الْمَاءَ حَوْلَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ ذُو الْمَاءِ رَحْمَانُ الرَّحْمِ

- ١٨- طَرَدْنَاهُمْ عَنْهَا شَرِينًا بَعْلَبَةً      وَقَهَّرَ عَلَى مَا كَانَ أُيُسَّرَ مِنْ عَزَمِ  
١٩- فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ سِوَى لَيْتَ قَوْمَنَا      فَحَابُوا وَخَسِرُوا ثُمَّ صَارُوا إِلَى النَّدَمِ  
٢٠- فَجَا[سَ] خِلَالَ جِبَاهِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ      فَوَارِسُنَا وَرَجَالَهُ حَازَتْ الْغُنَمَا

ثم انتقل يبيّن سرعة شيوع خبر ما وقع بهم من الهزيمة والهلاك وانتشاره بين الناس شرقاً ومغرباً؛ فتراكم الغم عليهم نتيجة ذلك، غم الهزيمة وما آل إليه أمرهم وغم ذيوع الخبر في جميع القرى والحضر، فصاروا لا حراك لهم ساكتين من شدة الغيظ الكامن في صدورهم. فقد قتلنا خيارهم، ومدّت إلينا بقاياهم أياديهم مستسلمين معترفين بعجزهم وقصورهم، وهي بلدان غرلّو وفسكرى وسمر ومغزو والبوادي إلى زعم:

- ٢١- فَشَاعَ وَدَاعَ الْخَبْرُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا      فَزَادَ لَهُمُ بِالْقَوْرِ غَمًّا عَلَى غَمِّ  
٢٢- فَمَاتُوا بِغَيْظِهِمْ قَتَلْنَا خِيَارَهُمْ      وَمَدَّتْ بَقَايَاهُمْ يَدًا مَلَقِيَ السَّلَمِ  
٢٣- وَأَعْنِي بَقَايَاهُمْ غَرَلَوْ لِفَسْكَرِي      وَسَمَرٍ وَمَغْزُوَ وَالْبَوَادِي إِلَى زَعَمِ

وأخيرا التفت الشاعر مخاطباً الأمة الإسلامية قائلاً: هنيئاً لنا يا أهل الإسلام، جندنا هو الغالب في كل حرب ومعركة يخوضها، منصور من الله في كل حركة إصلاحية تسعى إلى جمع شمل المسلمين ورفع كلمة التوحيد. فبذلك صار واجبا علينا أن نشكر الذي يهبنا ذلك النصر العظيم ويعطينا به على أعدائنا، وجب علينا أن نشكره بأقوالنا وأفعالنا التي تزيدنا قرباً إليه؛ فلا نبالي بأي خصوم يجادلنا في ذلك، لأنّ إله العرش أنجز وعده لنصرة رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢٢)</sup>، فاذكر ذاك الرسول المبعوث معظماً لقدره ومُجَّلاً لشأنه ولخصاله الحميدة التي اختصّ بها في صف الله سبحانه وتعالى له



قائلا في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢٣)</sup>، هو محمد صلى الله ربي عليه وسلم. عليه صلاة الله ثم سلامه صلاة وتسليما كثيرين يفوقان عدد الذين يصلّون عليه ويعدون صلاتهم بالكف أو بالفم، وكذا أهل بيته وأصحابه والتابعين لهم في هداهم بلا انقطاع إلى يوم يوصف بالعقم، وهو يوم القيامة.

- ٢٤- هَيِّئْ لَنَا يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ جُنْدُنَا هُوَ الْغَالِبُ الْمَنْصُورُ فِي كُلِّ مُلْتَمَعٍ  
٢٥- فَحْتَمَ عَلَيْنَا شُكْرَ وَاهِبِ ذَا الْعُلَا بِقَوْلٍ وَفَعَلٍ لَا نُبَالِي بِذِي الْحَصَمِ  
٢٦- لِأَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ أَنْجَزَ وَعْدَهُ لِمَبْعُوثِهِ الْمَنْصُورِ فَادْكُرْهُ بِالْفَحَمِ  
٢٧- مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ رَبِّي وَسَلَّم عَلَيْهِ لِمَا قَدْ قِيلَ فِي الثُّونِ وَالْقَلَمِ  
٢٨- عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ بِلَا عَدَدِ الْعَادِّينَ بِالْكَفِّ وَالْقَمِ  
٢٩- كَذَا الْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ فِي هُدَاهُمْ لِيَوْمٍ كَانَ يُوصَفُ بِالْعُقْمِ

### العاطفة:

إذا نظرنا إلى مناسبة هذه القصيدة ندرك أن تجربة الشاعر الأدبية تجربة شخصية، حيث عايش أحداث الحروب الواقعة بين جيش الأمير عليّ وجيوش البلاد الواقعة في مناطق زَمْقَرًا وَكُتْرُكُش، مشاركًا الأمير ومصاحبًا له في جميع تحركاته، ومعانيًا من عذاب تلك الحروب وويلاتها، حتى مُني جيشهم بنصر من الله على أعدائهم؛ فسيطرت عليه إثر ذلك حالة وجدانية نفسية مفعمة بفرح النصر والسرور، أثّرت فيه تأثيرًا قويًّا دفعه إلى التعبير عن مشاعره والاعراب عما يجول بخاطره شاكرًا لله الباري، فهو مالك زمام الأمور، المتصرف فيها كيف يشاء، واهب العز والنصر لمن يشاء من عباده.

فعاطفة الوزير عبد القادر في هذه القصيدة تتسم بالثبات لاستحواذها على شعور القارئ، وبالقوة لإنبائها عن نضج موضوع القصيدة لديه وإخبارها عن انفعاله بالموضوع انفعالا يملك عليه حواسه ومشاعره ونجاحها في نقل هذا الانفعال إلى القارئ.

ويضاف إلى ما سبق اتصاف العاطفة بالصدق لكون دافع الشاعر إلى قول هذه القصيدة حقيقيا غير زائف. كما تتصف بالسمو لإثارها لمشاعرنا الصحيحة لا المريضة؛ فتحركنا إلى نبذ الظلم والدعوة إلى الإسلام ودعم الأمن والاستقرار، وأن نؤمن بأن الله هو الغالب على أمره واهب العز والغلبة لمن يشاء.

### الأسلوب:

#### أولا: الألفاظ:

يقول الدكتور طه أبو كريشة: "أداة الأديب في التعبير الكلمة، ومن الكلمة تكون العبارة وتكون الصورة الأدبية، ويتكون أسلوب الأديب الذي يعرف به وينسب إليه، ومن الكلمة تتكون كذلك النغمة الصوتية، فيما تقرأه من شعر موزون، وفيما تتلوه من جمل لها توقيع منغوم. فإذا تضاممت الكلمة إلى الكلمة تولد من هذا التضام أو النظم كما سماه عبد القاهر الجرجاني، أو الصياغة التعبيرية كما يذهب إلى ذلك المحدثون"<sup>(٢٤)</sup>. فليس بدُّ على الشاعر من أن يحسن اختيار ألفاظه وينتقي كلماته.

استطاع الوزير عبد القادر في هذه القصيدة أن يستوظف كلمات فصيحة خالية من الغرابة والتعقيد موحية بالمعاني الجميلة التي وُضعت من أجلها. فمثلا، الألفاظ الواردة في البيت الأول: البارئ، المالك، الوالي، المعزز، كُلُّها أسماء لله

سبحانه وتعالى توحى بمعاني القوة والسيطرة. بينما توحى كلمتا "الناصر" و"ذي الكرم" بمعاني الجود والعطاء. وخلال وصفه لما جرى من أحداث الحروب، استعمل ألفاظا حربية، منها: الوغى، تقهقر محتالا، فرّ عن القوم، مُلْتَقِم، الفرسان، العدى، يشحظون سيوفهم، الأرماع، النبل، أن يزاحفوا، آسادنا، الضرغام، الغلبة، فوارسنا، رجالة، حازتْ الغنم، قتلنا خيارهم، جُنْدُنَا، فكلها ألفاظ ومصطلحات ذات علاقة بالقضية التي تناقشها القصيدة. وهكذا كان الشاعر في كل قضية من القضايا التي يناقشها في القصيدة يستعمل ألفاظا مناسبة لها.

ويضاف إلى ما سبق، ورود ألفاظ في القصيدة تدل على بيئة الشاعر، وهي أسماء لأشخاص وبلدان وأماكن غير عربية وهي: مَيَاقٍ، وَدَانٌ مَفِيدٍ، وَغَرِلَوْ، وَفَسْكَرِي، وَسَمَرٌ، وَمَغْزُو، وَرَغَم. فمع كونها ألفاظا غير عربية استطاع الشاعر بموهبته وبصيرته أن ينظمها ويستوظفها في القصيدة مؤدّية دورها في إخراج نغم صوتي له وقع إيجابي في تصوير إحساس الشاعر وشعوره.

### ثانيا: الصور:

استطاع الشاعر أن يستوظف صورًا جمالية مختلفة في توضيح معاني شعره ونقلها إلى السامع أو القارئ في ثوب فني رائع مؤثّر، نذكر منها الآتي:

في البيت الثاني من القصيدة ورد لفظ "قال" بالتنكير للتحقير من شأن المفصوح وهو أمير غُوَيْرٍ مَيَاقٍ.

وفي البيت الثالث، في قوله: (أن يرتعوا موضع الوخم)، أسند الفعل المضارع "يرتعوا" إلى المغرورين من قبل مَيَاقٍ، "والرتوع في الأصل للماشية وهو ذهابها

وجيئها في الرعي، وكثر ذلك حتى استعمل للآدميين<sup>(٢٥)</sup>، فعلى هذا تكون في الأسلوب لطيفة بلاغية حيث أسند إليهم فعل الرتوع تشبيها لهم بالماشية في عدم التمييز بين ما يضُر وما لا يضُر. وفي قوله "موضع الوخم" استعارة تصريحية، حيث شبه حمى الله - وهي محارمه - بموضع البواء بجامع إلحاق الضرر بالراتعين في كل، فتناسى التشبيه وحذف المشبه وهو "محارم الله"، ثم صرح بالمشبه به وهو "موضع الوخم".

وفي البيت السابع، قوله: (كُتْرُكُشِ نَادَتْهُ) مجاز مرسل، حيث أسند النداء إلى كُتْرُكُشِ والمقصود أهلها، فجعل البلدة تنادي على سبيل التخيل للدلالة على كثرة المنادين من أهلها. وقوله: (وصَمَّ عن النَّدَا) أي أظهر عدم السمع إلى نداءاتهم إظهارًا يجعله شبيها بالأصم الذي لا يسمع مطلقًا، وهذا أسلوب رائع في التعبير عن شدة فراره وعدم استجابته لنجدتهم جريًا وراء الاستعارة التبعية، حيث اشتق اللفظ المستعار وهو الفعل "صم" من "الصمم".

وفي التعبير بقوله: (فَأَضْحَى حَبَالُ الْوَدِّ مِنْهُمْ عَلَى الصَّرَمِ) خيالٌ رائعٌ حيث تخيل الودَّ - وهو أمر عقلي - محسوسًا يدرك بالحواس، وجعل له حبالاً توصل وتصرم؛ فصارت حبال الودِّ بين مَيَاقٍ وأهل كُتْرُكُشِ مقطوعة. فكأنه شبه العلاقات الودية بينهما بالحبال التي توصل بين الأشياء بجامع الوصل والصرم في كل، فتناسى التشبيه، وحذف أحد طرفي التشبيه وهو المشبه، وذكر المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية.

وفي البيت التاسع عند قوله: (نُحَاذِرُهُ أَنْ لَا نُلَاقِي مِمْلَتَقِمَ)، استعار لفظ "مِمْلَتَقِمَ" - وهو في الأصل موضوع للدلالة على من يتلعق اللقمة بسرعة - للدلالة به على ميدان المواجهة. أي نحاذره أن لا نلاقه بالمكان الذي يُهلك فيه

الناس بسرعة كما تُبتلع لقمة الطعام بسرعة دون ترك أثر لها. وفي التعبير بهذا الأسلوب دلالة على مدى خطورة المكان ومعرفتهم الجيدة بسيره وغوره.

وفي البيت العاشر، في قوله: "وفرسانه الآساد" تشبيه بليغ حيث شبه فرسان الإمام عليّ بالأسود في الشجاعة وقوة الفتك بالأعداء.

وفي البيت الثالث عشر، قوله: "زعمًا على زعم" إشارة إلى كثرة مزاعمهم وتراكمها، وفي العبارة نوع من التجسيد حيث جعل "الزعم" - على الرغم من كونه معقولاً - محسوساً، فجسّده وجعله مركباً بعضه فوق بعض.

وفي البيت الخامس عشر، في قوله: "شدّ حزامها" كناية عن صفة صرح فيها بما قام به الجيش من تحصين كُتْرُكُشٍ وحراستها والاستعداد التام لحمايتها، كما صرح بالنسبة التي هي اسناد هذا التحصين لكتركش.

وفي البيت السادس عشر، في قوله "بآسادنا الضّرغام" استعارة تصريحية حيث شبه أبطال جيش الأمير عليّ بالأسود، وشرح الاستعارة بذكر صفة ملائمة للمشبه به وهي "الضرغام". أما قوله: "كالنار في الضّرم" فهو تشبيه لهم بالنار في الضرم وهو الخطب، استعمله الشاعر لإبراز سرعة قضاء الأبطال على أعدائهم.

وفي البيت السادس والعشرين طباق في قوله "شرقاً ومغرباً" وهو يشير إلى ذبوع خبر هزيمتهم وانتشاره في كل مكان. أما التعبير بقوله "غمًا على غم" فهو إشارة إلى زيادة الغم وتراكمه عليهم، غمُّ الهزيمة وغمُّ انتشار خبرها.

ويضاف إلى ما سبق، أن الشاعر استطاع بحدّة ذهنه وتمكنه من تصريف أساليب كلامه استعمال أسلوب الالتفات حيث انتقل من أسلوب الحديث بطريق الغائب في البيت الأول (شكرنا لبارئنا ومالك شأننا ...) إلى أسلوب الحديث عن طريق الخطاب من بداية البيت الثاني (شكرناك يا ربي أيا خير شاكر

...)، ولازم الشاعر هذا الأسلوب في جميع القصيدة ينقل كلامه من أحد الطرق: التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها. واستعمال هذا الأسلوب يساعد في تحديد نشاط السامعين والقارئ للقصيدة دون إشعارهم بملل.

ويلاحظ أيضاً، أن الشاعر استمد بعض صوره وأساليبه من القرآن الكريم ومن التاريخ، فقوله في البيت الرابع عشر (يخافون من فتياننا تحلق اللما) فيه تأثر واضح بما سجله التاريخ عن يوم "تَخَلَّقَ اللَّمَم" <sup>(٢٦)</sup> بين بكر وتغلب حين حَلَّقَ أحد الفريقين رؤوسهم ليكون علامة لهم، فأصبح مثلاً من الأمثال. وقوله في البيت السادس عشر (فَرَيْنَ شَيْطَانُ لَهْمُ أَنْ يَزَاحِفُوا) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَرَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ﴾ <sup>(٢٧)</sup>. وقوله في البيت العشرين (فجاس خلال جباهم في ديارهم) فيه تأثر واضح بقوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ <sup>(٢٨)</sup>.

### ثالثاً: الموسيقى:

الموسيقى من أبرز خصائص الشعر وأهم سماته، فإليها يُعزى تَفَرُّدُه وقيمته الجمالية. يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: "جزء كبير من قيمة الشعر الجمالية يُعزى إلى صورته الموسيقية، بل ربما كان أكبر قدر من هذه القيمة مرجعه إلى هذه الصورة الموسيقية، وكثير من الدارسين يعزون ما نجده في الشعر من سِحَرٍ إلى صورته الموسيقية" <sup>(٢٩)</sup>.

وهذه القصيدة من بحر الطويل ووزنه (فعولن مفاعيلن) أربع مرات، عروضه مقبوضة وضربه صحيح. وهذا البحر "شائع الاستعمال في الشعر العربي، نظم عليه ما يقارب من ثلثه" <sup>(٣٠)</sup>. ونظراً لما يتسم به هذا البحر من طول من حيث

إيقاعه الموسيقي واستيعابه لكثير من المعاني التي تحتاج إلى طول النفس، وجد فيه الشاعر متنفساً للتعبير عن مشاعره وأفكاره.

أما عن قافية القصيدة فقد جاءت مبنية على حرف الميم المتحرك بالكسر، ويلاحظ تغير حركة الروي من الكسر إلى الفتح في البيت العاشر والرابع عشر والعشرين حيث جاءت الكلمات (النَّقَمَا) و (اللَّمَمَا) و (الْعُنَمَا) منصوبة على المفعولية، ومن الكسر إلى الضم في البيت السابع عشر حيث جاءت كلمة (الرَّحْمُ) مرفوعة على الفاعلية، فعلى هذا يكون في الأبيات الأربعة ما يعرف بالإقواء، وهو عيب من عيوب القافية عند النقاد القدماء، لم يسلم منه كثير من النبغاء وعلى رأسهم الشاعر الجاهلي المشهور النابغة الذبياني في قوله<sup>(٣١)</sup>:

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود  
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغداف الأسود

ويضاف إلى ما سبق، ما يحسّ به قارئ هذه القصيدة من جرسٍ موسيقي داخليٍّ خلّابٍ منبثق من تتابع صوت النون الممدود بالألف وتكراره في البيت الأوّل، ومن تكرار حرفي الهاء وميم في قوله "بغيطهم" و "خيارهم" و "بقاياهم" في البيت الثاني والعشرين، ومن تكرار كلمة "زعم" في البيت الثالث عشر، وكلمة "غمّ" في البيت الواحد والعشرين، وكذلك من وقع التجانس بين شكرناك وشاكر في البيت الثاني، وغير ذلك مما يدل دلالة على سعة قدرة الشاعر في أفانين الكلام.

## الخاتمة:

تناول هذا المقال القصيدة الميمية للوزير عبد القادر بن غداد بالدراسة والتحليل الأدبي، وهي قصيدة ذات بعد تاريخي حيث تنقل لنا أحداثاً وقعت في القرن التاسع عشر الميلادي، نظمها الشاعر شكرًا لله تعالى عقب انتصار جيش المسلمين - بقيادة الأمير عليّ بن محمد بلّ - على الجيوش المجتمعة من بلاد زَمَقَر وَكُثْرُكُش بتحرير من أمير غُور مَيّاق وقيادته. واستطاع المقال كشف قيمة القصيدة وأهميتها من الناحية الأدبية مبيّنًا قدرة الشاعر في التعبير عن شعوره وإحساسه فيها بأساليب أدبية جمالية رائعة. كما نجح عن طريق التحليل المقدم تسهيل فهم مضامين القصيدة وتذوق جمال أساليبها.

ويلاحظ أن لغة الشاعر تميل إلى المعجم الشعري الجاهلي من حيث استحضار الأماكن التراثية، ومن حيث البنية الصوتية، هذا على الرغم من شيوع بعض الألفاظ من المعجم الشعري الإسلامي التي حَقَّقَتْ نوعاً من جزالة ألفاظ القصيدة بصورة عامة.

أما الصورية الشعرية عند الشاعر فهي في معظمها مستوحاة من الخيال الشعري الجاهلي، على الرغم من المفارقات في صعيد تشكيل الصورة بين هذا الشاعر والشعراء القدامى حيث يتقدم التشبيه عندهم، وتتقدم الاستعارة عنده.



## الهوامش والمراجع:

- (١) انظر ترجمته في: مجموع الوزير في ذكر مناقب الأمير تأليف عبد القادر بن غداد، دراسة وتحقيق: يحيى إمام سليمان، الخیر للطباعة جمهورية مصر العربية ٢٠١٤م، ص ٨-١٦
- (٢) ترجمتها في: جنيد (الوزير)، عرف الريحان، مطبعة عَسْكِيا كُوفْرِيشِنْ، زاريا، ص ٥٤-٦٠
- (٣) كان أميراً لُغُوبٍ من سنة ١٨٣٦م إلى ١٨٥٨م، انظر: [http://www.worldstatesmen.org/Nigeria\\_native.html](http://www.worldstatesmen.org/Nigeria_native.html)
- (٤) بید: جمع بیداء وهي الصحراء.
- (٥) مبيد: أي مُهلِك
- (٦) العناء: التعب والمشقة.
- (٧) مجموع الوزير، مصدر سابق، ص ٧٣
- (٨) المصدر نفسه
- (٩) غُنْدُم Gundumi: منطقة صحراوية بين النهرين (نهر سُكُتُو ونهر رِيم) ممتدة عبر أَلْقَاضَاوَا Alkalawa ومدينة زُرْم Zurmi. انظر التصويرة رقم ٣٣ من ترجمة إنفاق الميسور إلى لغة هَوَسَا لسيّد سيوطي وجيڤ بُويد Jean Boyd، طباعة كَادُونَا ١٩٨٠م.
- (١٠) بُرْم Burmi: أراض في منطقة بَكُورَا، وهي الآن في حكومة تُرَيْت Tureta المحلية التابعة لولاية سُكُتُو.
- (١١) مَفَر Mafara: هي الآن حكومة محلية تابعة لولاية زَمْفَرَا Zamfara.
- (١٢) مجموع الوزير، ص ٧٧.

(١٣) الفلج: الفوز والظفر.

(١٤) العُلج: جمع العُلج وهو كل جافٍ شديد من الرجال، ويطلق على الرجل من الكفار.

(١٥) من سورة إبراهيم، الآية: ٧، وتمامها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

(١٦) ورد في النسخة المحققة من مصدر القصيدة (جاث) بالثاء، وفيما يبدو هو تحريف فات المحقق ذلك، لأن جاث من الجاث وهو مشية البعير موقرا حملا. أما (جاس) بالسین فهو فعل ماضي بمعنى تردّد، وقد تأثر الشاعر بالقرآن في قوله سبحانه: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ الإسراء: ٥، أي فترددوا خلال الديار.

(١٧) سورة الأعراف: ١٨٢، القلم: ٤٤

(١٨) سورة الفجر، الآية ٦-٧

(١٩) راجع: Murry Last: The Sokoto Caliphate, Printed in Britain 1967, p. 74

(٢٠) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م، ج ١، ص ٦١٢

(٢١) راجع: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى،

ج ١٢، ص ٣٥٤

(٢٢) سورة الفتح، الآية ٣

(٢٣) سورة القلم، الآية ٤

- (٢٤) في النقد الأدبي الحديث: تاريخه وقضاياها، طه أبو كريشة (الدكتور)، (بدون ذكر المطبعة) ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص ١٤٣
- (٢٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٨م، ج ٧، ص ٥٢٠
- (٢٦) ويسمى أيضا بـ"يَوْمُ التَّحَالُقِ"، راجع: مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، ج ٢، ص ٤٣٩
- (٢٧) سورة النحل، الآية: ٦٣
- (٢٨) سورة الإسراء، الآية: ٥
- (٢٩) التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل (الدكتور)، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨١م، ص ٦٤
- (٣٠) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م، ص ٥٩
- (٣١) راجع: مختار الشعر الجاهلي، محمد أمين النواوي وغيره، مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة، ج ١ ص ١٩٩. النقد، شوقي ضيف (الدكتور): الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٤.